الفصل الرابع

من حصاد الفكر

الروحـــانيـــات

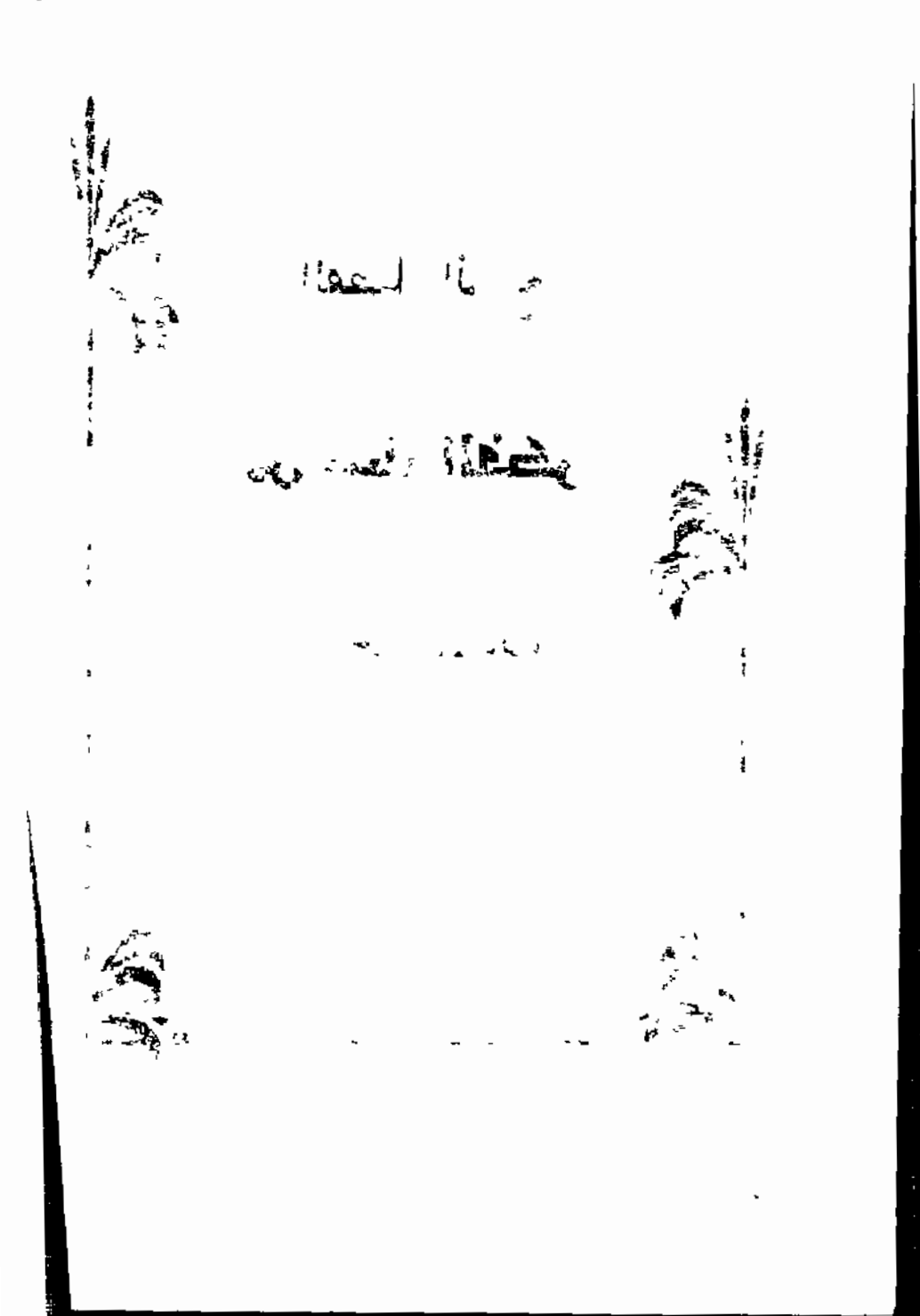

الروحانيات

تبحث الروحانيات فيما يتعلق بالعالم غير المادي، كالملائكة عليهم السلام، والجن[1]، وحلق الإنسان[2]، وقد أطلق على هذا القسم من العقائد"الروحانيات"على سبيل التغليب، فمن العلماء من يسميه: "الكونيات"أو"الغيبيات"، ومن العلماء من يجعله والقسم الرابع من تقسيما"السمعيات"قسمًا واحدًا، لأن كل ما ورد من مباحث في هذه الأقسام لا يثبت إلا بالسمع وهو الدليل النقلي من الكتاب أو السنة، وهذا التقسيم إنما هو للدراسة فقط، وسنتكلم في هذا القسم"الروحانيات"على عدة أمور منها.

أولاً: الملائكة:

١- وجودهم.

وقد دل الخبر الصادق المتواتر عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ على وجودهم، أما الوارد عن الله ﷻ فقوله تعالى.﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾[3] وقوله.﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[4] وغيرها كثير من الآيات.

١- جمع الجن، رسالة العقائد، ص٣٨٢

٢- انظر د محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٤٣

٣- من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة

٤- الآية ٢ من سورة النحل

وأما الوارد عن رسول الله ﷺ بقوله صلى الله عليه وسلم لجبريل في الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب، عندما سأله جبريل عن الإيمان: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"[رواه مسلم، من الحديث ٩]

ومن هنا كان إنكار وجودهم كفرًا بإجماع المسلمين بل نص قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[1][2]

٢- صفاتهم:

عرَّفنا الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنها) أن المادة التي خلقوا منها هي النور فقال صلى الله عليه وسلم: "خُلِقَتْ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"[رواه مسلم، من الحديث ٥٣١٤]

ولم يبين لنا الرسول ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإنا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر بمزيد من التحديد، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث

متى خلقوا؟

لا ندري متى خلقوا، فالله سبحانه لم يخبرنا بذلك، ولكنا نعلم أن خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، قال الله تعالى. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا

١- من الآية ١٣٦ من سورة النساء

٢- انظر د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٧٤

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1] والمراد بالخليفة آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود حين خلقه، فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2].

عِظم خلقهم:

قال الله تعالى في ملائكة النار ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ". [رواه أحمد، الحديث ٣٥٦١][4]، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال في جبريل: "رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ مَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ"[رواه مسلم، من الحديث ٢٥٩] وقال تعالى في وصفه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[5]، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أذن لي أن أحدث عن حملة العرش: ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام"[6].

١- الآية ٣٠ من سورة البقرة

٢- الآية ٢٩ من سورة الحجر

٣- الآية ٦ من سورة التحريم

٤- قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية جـ١، ص ٤٧ إسناده جيد

٥- الآيتان ١٩، ٢٠ من سورة التكوير

٦- قال الالباني في تحقيق مشكاة المصابيح إسناده صحيح

أجنحتهم.

للملائكة أجنحة كما أخبر الله تعالى، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أو أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

لا يوصفون بالذكورة والأنوثة:

وقد ضل في هذا الأمر مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناث، وناقشهم القرآن في هذه القضية، فقال تعالى ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ* أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاَئِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[3] ولذلك فإن وصفهم بالأنوثة كفرٌ لمخالفته صريح القرآن، أما وصفهم بالذكورة ففيه فسق وانحراف عن الصراط المستقيم فإن هذا الوصف لم يرد ذكره في الأخبار

لا يَمَلُّون ولا يتعبون

فهم يقومون بعبادة الله وطاعته وتمجيد أوامره، بلا كلل ولا ملل، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك، قال الله تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾[4] أي: لا يضعفون، وقال تعالى ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾[5] أي: لا يملون

١- الآية ١ من سورة فاطر

٢- الآيتان ١٤٩، ١٥٠ من سورة الصافات

٣- الآية ١٩ من سورة الزخرف

٤- الآية ٢٠ من سورة الأنبياء

٥- من الآية ٣٨ من سورة فصلت

عـــددهـــم

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم.﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ في البيت المعمور الـذي في الـسماء السابعة "يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْـهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ"[رواه البخاري، من الحديث ٢٩٦٨]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يُؤْتَى بِجَهَـنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَـا"[رواه مسلم، الحديث ٧٦ ٥] ، وإذا تأملنا النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان علمت مدى كثرتهم، فهناك ملك موكل بالنطفة، وملكان لكتابة أعمال الإنسان، وملائكة لحفظه، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده

أسماؤهم.

نحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل، فمنهم "جبريل وميكال"، قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّـهِ وَمَلَائِكَتِـهِ وَرُسُـلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[2] ومنهم إسرافيل، ففـي دعـاء الرسول ﷺ: "اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَـاطِرَ الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَـا كَـانُوا فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[رواه مسلم، الحديث ١٢٨٩]، ومنهم. "مالك"خازن النار، قـال

١- الآية ٣١ من سورة المدثر

٢- الآيتان ٩٧،٩٨ من سورة البقرة

تعالى:﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[1]، ومسهم "منكر ونكير"، عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ "إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ "[رواه الترمذي، من الحديث٩٩١][2]، ومسهم. "رصوان"، قال ابن كثير: "وحارس الجنة يقال له "رصوان"جاء مصرحًا به في بعض الأحاديث"[3]

أما تسمية ملك الموت بعزرائيل فلا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسمية بهذا الاسم

الملائكة الكرام بررة

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة، قال تعالى:﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾[4]، أي الملائكة لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه، والمعنى أن خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ "الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ فَلَهُ أَجْرَانِ" [رواه احمد الحديث ٢٣٠٨].

قدرتهم على التشكل

أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، فقد أرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم في صورة بشر ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا*فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ

١- الآية ٧٧ من سورة الزخرف

٢- حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم

٣- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١، ص٥٣

٤- الآية ١٥ من سورة عبس

لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا*قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا*قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا"[1] وإبراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة بشر ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم، قال تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ*إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ*فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ*فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ*فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[2]، وجاءوا إلى لوط عليه السلام في صورة شباب حسان الوجوه، وضاق لوط بهم وحشي عليهم من قومه فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ"[3]، قال ابن كثير "تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا"[4]، وقد كان جبريل عليه السلام يأتي في صورة دحية الكلبي[5]، وقد شاهده كثير من الصحابة عندما كان يأتي كذلك، وذلك في حديث الإسلام والإيمان والإحسان المشهور

مطمون في كل شئونهم.

الملائكة مطمون في عبادتهم، وقد حثنا الرسول ﷺ على الاقتداء بهم في ذلك فقال "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ"[رواه مسلم، الحديث ٦٥١]، وفي يوم القيامة يأتون صفوفًا منتظمة، قال

١- الآيات ١٦-١٩ من سورة مريم

٢- الآيات ٢٤-٢٨ من سورة الذاريات

٣- الآية ٧٧ من سورة هود

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١، ص٤٣

٥- انظر الجزء السابع من الرياض

تعالى. ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، ويقفون صفوفًا بين يدي الله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2] وانظر إلى دقة تعبيدهم للأوامر، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال "آتي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ" [رواه مسلم، الحديث ٢٩٢]، يمكن أن نلاحظ هذه الدقة أيضاً من استعراض حديث الإسراء إذ كان جبريل يستأذن في كل سماء ولا يفتح له إلا بعد الاستفسار

٣- وظائف الملائكة

من استقراء نصوص الآيات والأحاديث يلحظ تعدد وظائف الملائكة وكثرتها، ويظهر هذا مما يلي:

تبليغ الوحي

فمن هذه الوظائف. إبلاغ كلام الله وحكمه إلى عباده المرسلين وقد ثبت ذلك بقوله تعالى عن القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3] وقوله تعالى. ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[4] وقد ثبت بالسنة الصحيحة المتواترة أن الموكل بهذه الوظيفة هو جبريل عليه السلام

١- الآية ٢٢ من سورة الفجر

٢- الآية ٣٨ من سورة النبأ

٣- الآيتان ١٩٣، ١٩٤ من سورة الشعراء

٤- من الآية ١٥ من سورة غافر

حمل العرش:

وقد نص القرآن بصريح العبارة أن عدد الذين يحملونه يوم القيامة ثمانية من الملائكة، تقرأ ذلك في قوله تعالى.﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1].

رعاية الجنة وأهلها

وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين يقومون بهذه الوظيفة اسم (الحرنة) وتجد ذلك في قوله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[2] وفي قوله تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ*سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3]

القيام بشئون النار وأهلها.

وقد أطلق القرآن على الملائكة الذين أقامهم الله على هذا الأمر اسم (الربانية)، وقد ذكر الله تعالى أن عددهم تسعة عشر ملكًا، تقرأ ذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ*لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ*لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ*عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ*وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ

١- الآية ١٧ من سورة الحاقة

٢- الآية ٧٣ من سورة الزمر

٣- الآيتان ٢٣، ٢٤ من سوره الرعد

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[1]

مراقبة أعمال المكلفين:

ومنها مراقبة أعمال المكلفين وتصرفاتهم، وإحصاؤها في كتاب مبين، وقد أطلق الله على الملكين القائمين هذا الأمر صفتي رقيب، وعتيد، أحدهما يكون عن يمين الإنسان وهو يحصي ما يحققه من حسنات، والثاني عن شماله وهو يحصي ما اكتسبه من آثام، تجد بيان ذلك في قوله تعالى:﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ*مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر السيئات.

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: "**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطيء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**"[صحيح الجامع ٢/٢١٢)، رواه الطبراني في المعجم الكبير][3]

المحافظة على الإنسان:

ومن وظائفهم أيضًا المحافظة على الإنسان خلال مراحل حياته في مختلف شئونه كلها، وقد سمَّى الله تعالى الملائكة الذين وكل إليهم هذا الأمر بالمعقبة والحفظة، فقال ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[4] وقال. ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[5]

١- الآيات ٢٧-٣١ من سورة المدثر

٢- الآيتان ١٧،١٨ من سورة ق

٣- حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير

٤- من الآية ١١ من سورة الرعد

٥- من الآية ٦١ من سورة الأنعام

قبض الأرواح.

ومنها. وظيفة قبض الأرواح، وهل أسندت هذه الوظيفة لعدد من الملائكة أم لفرد واحد منهم؟ لم يوضح القرآن الجواب على هذا بيان قاطع، فقد ذكر الله تعالى في آية من كتابه الكريم ما يدل على أنهم طائفة من الملائكة فقال ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾[1] وذكر في آية أخرى ما يدل على أنه واحد فقط. ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2]

والجمهور على أن ملك الموت واحد، ولكن الله ﷻ عزره بطائفة أخرى من الملائكة، شأنها معه كشأن الجنود مع القائد.

دعوة العباد إلى فعل الخير.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"[رواه البخاري، الحديث ١٣٥١]

صلاتهم على المؤمنين.

أخبرنا الله تعالى أن الملائكة تصلي على الرسول ﷺ. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[3] وهم يصلون على المؤمنين أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[4]

١- من الآية ٦١ من سورة الأنعام
٢- الآية ١١ من سورة السجدة
٣- من الآية ٥٦ من سورة الأحزاب
١- الآية ٤٣ من سورة الأحزاب

والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند ملائكته، حكاه البخاري عن أبي العالية، وقال غيره الصلاة من الله ﷻ الرحمة، وقد يقال. لا منافاة بين القولين

وأما الصلاة من الملائكة فمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، وهذا ما سنوضحه فيما يلي

استغفارهم للمؤمنين

أخبرنا الله تعالى أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]

وأخبر في آية سورة غافر أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش يسبحون ربهم ويحمدونه ويحضون المؤمنين التائبين بالاستغفار ويدعونه سبحانه بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة، ويحفظهم من فعل الذنوب والمعاصي.﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ* رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]

٢- الآية ٥ من سورة الشورى

١- الآيات ٧-٩ من سورة غافر

شهودهم مجالس العلم وحِلق الذكر وحفهم أهلها باحبتهم

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"[رواه البخاري، الحديث ٥٩٢٩]

٤ – واجب المؤمن تجاه الملائكة[1].

الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم ولهم مكانة عند ربهم، والمؤمن الذي يعبد الله ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولّى الملائكة بالحب والتوقير، ويتحسب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم، وفيما يلي نتناول شيئًا من ذلك بالبيان والتوضيح.

البعد عن الذنوب والمعاصي:

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك، ولذا فإن أعظم ما يهدى للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتحسب كل ما يغضبه ولذا فإن الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويغضبه، كالأنصاب والتماثيل والصور ولا تقرب من تلبَّس بمعصية كالسكران.

وعن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلا كَلْبٌ وَلا جُنُبٌ" [رواه النسائي، الحديث ٢٦١]

وفي رواية عن علي ﷺ "ولا بول"[رواه أحمد، من الحديث ١١٨٣] وفي رواية

١– انظر د عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، ص٦٨– ٧

عن أبي طلحة ﷺ: "لا تَدْخُلُ الْمَلائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا تِمْثَالٌ"[رواه أبو داود، الحديث ٣٦٢٣]، وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "لا تَصْحَبُ الْمَلائِكَةُ رِفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ حَرَسٌ" [رواه أبو داود، الحديث ٢١٩٢]

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم.

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، والأقذار والأوساخ، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ" قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ "الثُّومِ" ثُمَّ قَالَ "الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ فَلا يَقْرَبَنَا فِي مَسْجِدِنَا" [رواه الترمذي، الحديث ١٧٢٨]

وعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَامَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَطِيبًا أَوْ خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ لا أُرَاهُمَا إِلا خَبِيثَتَيْنِ هَذَا الثُّومُ وَهَذَا الْبَصَلُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرَّجُلَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوجَدُ رِيحُهُ مِنْهُ فَيُؤْخَذُ بِيَدِهِ حَتَّى يُخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ فَمَنْ كَانَ آكِلَهَا لا بُدَّ فَلْيُمِتْهَا طَبْخًا" [رواه ابن ماجة، الحديث ١٠٤٠].

النهي عن البصق عن اليمين في الصلاة.

نهى الرسول ﷺ عن البصق عن اليمين أثناء الصلاة، لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقْ أَمَامَهُ فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ وَلا عَنْ يَمِينِهِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَيَدْفِنُهَا" [رواه البخاري، الحديث ٣٩٩]

موالاة الملائكة كلهم

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملَك وملَك، لأنهم جميعًا عباد الله عاملين بأمره تاركين ما نهى عنه، وهم في هذا لا يختلفون ولا يفترقون، وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة، وزعموا أن جبريل عدو لهم، وميكال ولي لهم، فكذبهم الله تعالى في دعواهم وأخبر أن الملائكة لا يختلفون فيما بينهم فكل من كان عدوًا لله أو لملك فهو عدو لجميع الملائكة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[1]

ثانيًا: الجن (الجان) والشياطين:

الجن هم عالم من العوالم الغيبية، لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى

وجودهم:

وقد ثبت وجودهم بالدليل القطعي الذي لا احتمال فيه، والدليل هو الخبر الصادق الذي جاء به القرآن بنصوص قاطعة لا احتمال فيها، فقد أخبر القرآن عن الجان في مواضع كثيرة.

فمن ذلك قول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ومنه قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[3]

١- الآيتان ٩٧،٩٨ من سورة البقرة

١- الآية ٥٦ من سورة الذاريات

٢- من الآية ٢٩ من سورة الأحقاف

وقد جاء في السنة أيضًا أحاديث مختلفة تنت حقيقة الجان وتحر عنهم

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلا شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ"

[رواه البخاري، الحديث ٧٣١]

وإذا كان وجود هذه الخليقة مستندًا إلى هذه الأخبار اليقينية التي وردت إلينا من الكتاب وفصلتها السنة، وكان أمرها معلومًا من الإخبارات الإلهية بالضرورة، أجمع المسلمون على أن الإيمان بوجود الجن من المستلزمات الأساسية للإيمان بالله ﷻ وأن إنكارهم أو الشك في وجودهم يستلزم الردة والخروج عن الإسلام.

إن إنكارهم يستلزم بتيجتين اثنتين

الأولى إنكار شيء علم ثبوته من الدين بالضرورة.

الثانية تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الوارد إلينا عن الله ﷻ، وهو يناقض

الإيمان بالله ﷻ، كما يناقض الإيمان بكتابه المعجز

وهاتان النتيجتان تتنافيان مع الإسلام ومقومات الإيمان بالله ﷻ[1]

أصلهم:

أصل الجان - أي العنصر الأول الذي وجد منه هذا المخلوق - فلا مطمع في معرفته إلا بالخبر اليقيني، وإنما يكون الخبر يقينًا مُوْرِثًا القطع واليقين، إذا ورد من الخالق نفسه، وقد ورد هذا الخبر في قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[2]، والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان فيه

وإذن قد تمت هذا الخبر الواضح اليقين، فقد وجب علينا معرفة مضمونه والإيمان بموجبه.

وقال صلى الله عليه وسلم: "خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" [رواه مسلم، من الحديث ٥٣١٤].

الشيطان والجان

الشيطان الذي حدثنا الله تعالى عنه كثيرًا في القرآن من عالم الجنّ، كان يعبد الله في بداية أمره، وسكن السماء مع الملائكة، ثمّ عصى ربه - عندما أمره أن يسجد لآدم - استكبارًا وعلوًا وحسدًا، فطرده الله من رحمته.

والشيطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرد، وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوه وتمرده على ربه

وأطلق عليه لفظ (الطاغوت) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

١- د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص٢٧٩ - ٢٨٠

٢- الآية ١٥ من سورة الرحمن

كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1] وهذا الاسم معلوم عند عالية أمم الأرض بنفس اللفظ كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس) وإنما سمي طاغوتًا لتجاوزه حده، وتمرده على ربه، وتضييعه نفسه إثمًا بعد

وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله، ولذا أسماه الله (بإبليس) والبلس في لغة العرب من لا خير عنده، وأبلس يئس وتحير

الشيطان مخلوق

الذي يطالع ما جاء في القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك، وليس كما يقول بعض الدين لا يعلمون. "إنه روح الشر متمثلة في عرائر الإنسان الحيوانية التي تصرفه إذا تمكنت من قلبه عن المثل الروحية العليا"[2]

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن، أو واحد منهم، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[3] وابن تيمية يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس[4]

١- الآية ٧٦ من سورة النساء

٢- دائرة المعارف الحديثة، ص ٣٥٧

٣- من الآية ٥٠ من سورة الكهف

٤- راجع ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤، ص٢٣٥، ص٢٤٦

الجن تُسخر لسليمان عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1]، وقال تعالى ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[3]

ظهور الجن والشياطين في صور شتى

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4]

ذكر ابن اسحق وغيره في سبب نزول هذه الآية أن المشركين جاءوا في غزوة بدر ومعهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني — وكان سراقة من أشراف بني كنانة — وكانت قريش تخشى كنانة على نفسها فقال لهم إبليس أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهون، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس نكص على عقبيه وهرب، فقال له الحارث بن

١- الآية ١٧ من سورة النمل
٢- الآيات ١٢، ١٣ من سورة سبأ
٣- الآية ٨٢ من سورة الأنبياء
٦- الآية ٤٨ من سورة الأنفال

هشام – وتشتم به – إلى أين يا سراقة؟ أين تمر؟ فلكمه إبليس لكمة طرحه على قفاه ثم قال إني أرى ما لا ترون .الخ

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أَنَّهُ صَلَّى صَلاةً قال "إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلاةَ عَلَيَّ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ فَدَعَتُّهُ[1] وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ[2] إِلَى سَارِيَةٍ[3] حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عليه السلام رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِئًا" [رواه البخاري، الحديث ١١٣٤]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَرَّ عَلَيَّ الشَّيْطَانُ فَأَخَذْتُهُ فَخَنَقْتُهُ حَتَّى إِنِّي لأجد بَرْدَ لِسَانِهِ فِي يَدَيَّ فَقَالَ أَوْجَعْتَنِي أَوْجَعْتَنِي" [رواه أحمد، الحديث ٣٧٣٢]

وعن أبي هريرة ﷺ قال وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ إِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ"، قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ

١- حققته

٢- أربطه

٣- عامود

اللَّهِ ﷺ، قَالَ دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ"، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالا فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ، قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ"قُلْتُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ "مَا هِيَ"، قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ"، قَالَ: لا، قَالَ "ذَاكَ شَيْطَانٌ"[رواه البخاري].

حضور الشيطان كل شيء للإنسان إذا لم يذكر اسم الله تعالى:

عَن جابر ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ

فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٩٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما سمع النبي ﷺ قال "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ" [رواه البخاري، الحديث ١٣٨]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٦٢]

وعن حذيفة رضي الله عنه قال. كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٦١]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال "إِذَا اسْتَجْنَحَ[1] اللَّيْلُ أَوْ قَالَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ

١- جنح الليل أي أول الليل

فَخَلُّوهُمْ[1] وَأَعْلِقْ نَائَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ[2] وَاذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا"

[رواه البخاري، الحديث ٣٠٣٨]

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين:

لم يعط الله سبحانه الشيطان القدرة على إجبار الناس وإكراههم على الضلال والكفر ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[3]، ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[4] ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة، ولا من جهة القدرة، والشيطان يدرك هذه الحقيقة، قال الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[5]

وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بمكره، ويتابعونه عن رضا وطواعية: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[6]، وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[7].

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ

١- أي اتركوهم ليخرجوا

٣- أي عطوا آنيتكم

٤- الآية ٦٥ من سورة الإسراء

٥- الآية ٢١ من سورة ص

٦- الآيتان ٣٩، ٤٠ من سورة الحجر

٧- الآية ٤٢ من سورة الحجر

٨- الآية ٢٢ من سورة إبراهيم

مُشْرِكُونَ﴾[1]

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال، وتمكنه منهم، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2]، ومعنى تؤزهم تحركهم وتهيجهم

الغاية من خلقهم:

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

فالجن على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة، ومن عصى وتمرد فله النار، يدل على ذلك نصوص كثيرة

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطبًا كفرة الجن والإنس موبخًا مكذبًا ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[4] ففي هذه الآيات دليل على بلوغ شرع الله الجن، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويلعنهم.

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ

١- الآية ١٠٠ من سورة النحل

٢- الآية ٨٣ من سورة مريم

٣- الآية ٥٦ من سورة الذاريات

٤- الآية ١٣٠ من سورة الأنعام

حَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2]

وقال ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3]، والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ*فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4]

والخطاب هنا للجن والإنس؛ لأن الحديث في مطلع السورة معهما، وفي الآية السابقة امتنان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا أنهم ينالون ذلك ما امتن عليهم به

مراتبهم في الصلاح والفساد.

وهم في هذا طوائف فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم الكفرة، وهم الكثرة، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ

١- الآية ٣٨ من سورة الأعراف

٢- الآية ١٧٩ من سورة الأعراف

٣- من الآية ١٣ من سورة السجدة

٤- الآيتان ٤٦، ٤٧ من سورة الرحمن

دَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[1]، أي منهم الكاملون في الصلاح، ومنهم أقل صلاحًا، فهم مذاهب مختلفة كما هو حال البشر

ويقول الله عنهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[2]، أي أن منهم المسلمين، والظالمين أنفسهم بالكفر، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم

العداء التاريخي:

العداء بين الإنسان والشياطين عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي شكل الله فيه آدم قبل أن يُنفخ فيه الروح، فأخذ الشيطان يطيف به، ويقول: لئن سلطت عليّ لأعصينك، ولئن سلطت عليك لأهلكنك

فعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لا يَتَمَالَكُ"[رواه مسلم، الحديث ٤٧٢٧]

فلما نفخ الله في آدم الروح، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس بعبد الله مع ملائكة السماء فشمله الأمر، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[3] لقد فتح أبونا آدم عليه السلام عينيه، فإذا به يجد أعظم تكريم، يجد الملائكة ساجدين له، ولكنه يجد عدوًا يتهدده ودريته بالهلاك والضلال.

١- الآية ١١ من سورة الجن

٢- الآيتان ١٤،١٥ من سورة الجن

٣- من الآية ١٢ من سوره الأعراف

وطرد الله الشيطان من جنة الخلد بسبب استكبارهن وحصل على وعد من الله بإبقائه حيًا إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ*قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[1] وقد قطع اللعين على نفسه عهدًا بإضلال بني آدم والكيد لهم ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ*ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[2]، وقوله هذا يصور مدى الجهد الذي يبذله لإضلال ابن آدم، فهو يأتيه من كل طريق ممكن، عن اليمين والشمال، ومن الأمام والخلف، أي من جميع الجهات، وهذا مثل لوسوسته إليهم، وتسويله لهم ما أمكنه وقدر عليه، كقوله تعالى. ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾[3]

تحذير الله لنا من الشيطان:

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظيم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[5] وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ

١- الآيتان ١٤،١٥ من سورة الأعراف
٢- الآيتان ١٦،١٧ من سوره الأعراف
٣- الآية ٦٤ من سوره الإسراء
٤- الآية ٢٧ من سورة الأعراف
٥- من الآية ٦ من سورة فاطر

الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[1]

وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول، لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلابد أن ينتقم من آدم وذريته من بعده: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]

ثالثًا: خلق الإنسان[3]:

الإنسان مخلوق (من حيث الجنس) من تراب، ومتكاثر (من حيث المصدر) من الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام.

واعلم أن البرهان على هذه الحقيقة، محصور في اعتماد الخبر الصادق المتواتر، إذ هي ليست من المسائل المتعلقة بالحسيات التي تخضع للدليل التجربة والمشاهدة، وإنما هي مستقة عن خبر يتعلق بتاريخ قديم، فلا مطمع للتحقق منها بأكثر من التحقيق في الخبر نفسه

فأما أن الإنسان مخلوق (من حيث جنسه) من عنصر التراب، فقد دلت على ذلك آيات صريحة وكثيرة في كتاب الله ﷻ

فمنها: قوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1] وقوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[2] وقوله تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[3]

١- من الآية ١١٩ من سورة النساء

٢- الآية ٦٢ من سورة الإسراء

٣- انظر د. محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص ٢٤٩ -- ٢٦٩ باختصار

والصلصال طين يبس فهو يتصلصل أي يصوت كأنه الفخار، والحمأ طين أسود متغير، والمسنون أي المصور صورة إنسان.

فالصلصال تفسير لجنس التراب، والحمأ المسنون تفسير لجنس الصلصال، كما تقول أخذت هذا من رجل من العرب من التنام.

الإنسان الأول

وأما أنه متكاثر من آدم عليه الصلاة والسلام، وأنه الإنسان الأول، فقد دلت على ذلك أيضًا آيات صريحة وكثيرة في كتاب الله تعالى، تقرأ هذه الآيات في قصة خلق آدم التي تكررت كثيرًا في الكتاب المبين.

واعلم أنه لا شأن لنا في هذا المقام بالبحث في كيفية نزول آدم من الجنة والتحقيق في البقعة التي هبط إليها من الأرض، وكيفية تكاثر النسل من آدم وحواء بعد ذلك، إذ كل ذلك مما لا دخل له بأمر العقيدة القائمة على الأحكام الثابتة القطعية

بل الحديث في ذلك كله من فضول النظر والقول، ولا يوجد دليل قاطع على شيء من ذلك في كتاب أو سنة، ولذلك لم يتعبدنا الله ﷻ باعتقاد شيء معين فيه

وسنة رسوله أن نكل علم ما لم يبينه الله ﷻ ولا رسوله إلى علم الله وحده، اللهم إلا ما كان من ذلك خاضعًا لوسائل البحث والتحرية

١- الآية ٥٥ من سورة طه

٢- الآية ٢٦ من سورة الحجر

٣- الآية ١٤ من سورة الرحمن

والمشاهدة، فقد دعانا كلام الله تعالى إلى البحث عن الحقيقة والتنقيب عن اليقين في ذلك

الإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أحسن تقويم.

والحديث عن النشأة الأولى للإنسان، لا يخضع هو الآخر لمراهين التجربة والمشاهدة المحسوسة، إذ هو في جملته حدث تاريخي لن تستطيع أن تُعمل فيه الفكر والنظر.

ولو أن الله ﷻ لم يحدثنا بشيء قطعي في هذا الصدد، لما الترمنا في شأنه بأي حكم نعتقده ونقطع به

ولكن الخبر الصادق المتواتر، وضعنا في ذلك أمام ما لا مجال للشك أو الظن فيه، وهو قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] و"ال" الداخلة على الإنسان للاستغراق كما هو معلوم، فهي عامة للأفراد كلهم

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ*الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ*فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[2] أي جعلك سويًا مستقيمًا معتدل القامة متصبها في أحسن الهيئات والأشكال.

ومن مؤكدات هذه الحقيقة التي قررها القرآن، ما روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ

١- الآية ٤ من سورة التين

٢- الآيات ٦-٨ من سورة الانفطار

يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ" [رواه البخاري، الحديث ٥٧٥٩]، أي أنه منذ خلق إنما كانت صورته هي الصورة دائما التي استمر عليها وعرف بها، أي لم يشأ متنقلاً من شكل إلى آخر، فالصغير في صورته راجع إلى آدم.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب أن نعلم بأن الإنسان لم يتنقل، خلال تاريخه كله، في أي طور نوعي، كأن يقال إنه ترقى من فصيلة إلى أخرى، أو تدرج من مظهر نوعي في الهيئة والشكل إلى مظهر آخر.

وهذا الحكم نتيجة قطعية للأمور التي ذكرناها على الإنسان، وهي: أنه مخلوق من التراب ومتكاثر من آدم عليه الصلاة والسلام وأنه خلق (في نشأته الأولى) في أحسن تقويم

*****